

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحُقُوقُ بَيْنَ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَرْنَا بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ؛ جَزَاءَ مَا أَحْسَنَّا إِلَيْنَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ حَقًّا لَهُمْ وَوَجِبًا عَلَيْنَا، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأُثْبِي عَلَيْهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ الْأَوْلَادَ عِنْدَ وَالِدِيهِمْ أَمَانَةً، وَأَمْرَهُمَا بِحُسْنِ تَرْبِيَّتِهِمْ حِمَايَةً لَهُمْ وَصِيَانَةً، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، الْبِرُّ الْكَرِيمُ، الْهَادِي بِإِذْنِ رَبِّهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَمَرْنَا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ بِأَدَاءِ الْحُقُوقِ، وَنَهَانَا عَنِ الْجُودِ وَالْعُقُوقِ، بِرُّهُ وَاسِعٌ مَمْدُودٌ، شَمِلَ كُلَّ وَالِدٍ وَمَوْلُودٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْجُودِ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

اشْكُرُوا اللَّهَ حَقَّ شُكْرِهِ، وَانْكُرُوهُ حَقَّ ذِكْرِهِ، وَأَطِيعُوهُ حَقَّ طَاعَتِهِ، يَمْنَحْكُمْ الْمَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ بِكُلِّ مَا يَضْبِطُ حَرَكََةَ الْحَيَاةِ وَيَقْوِمُ سُلُوكَ الْإِنْسَانِ، وَذَلِكَ بِدَعْوَتِهِ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَمِمَّا دَعَا الْإِسْلَامَ إِلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ مَعْرِفَةُ الْحُقُوقِ وَالْوَجِيبَاتِ، فَبِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَالتَّزَامِهِ تَنْتَظِمُ مَسِيرَةُ الْحَيَاةِ وَيَسِيرُ النَّاسُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَنُورٍ، وَيَتَحَقَّقُ التَّوْازُنُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ، وَكَيْفَ لَا يَتَحَقَّقُ التَّوْازُنُ؟ وَقَدْ عَرَفَ كُلُّ إِنْسَانٍ حَقَّهُ فَلَمْ يَطْلُبْ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَعَرَفَ مَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبٍ فَأَدَّاهُ دُونَ بَخْسٍ، وَأَتَمَّهُ دُونَ خُسْرَانٍ وَنَقْصٍ. وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَكَّدَهَا الْإِسْلَامُ وَأَوْجَبَ أَدَاءَهَا بِدِقَّةٍ إِعْطَاءُ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَمِنْهَا حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَحُقُوقُ الْأَوْلَادِ، فَإِنَّ مِنْ أقدسِ الْعَلَاقَاتِ وَأَشَدِّهَا قُوَّةً عِلَاقَةَ الْأَبُوَّةِ وَالْبُنُوَّةِ، فَهِيَ عِلَاقَةُ الْأَصْلِ بِالْفَرْعِ وَعِلَاقَةُ الْفَرْعِ بِالْأَصْلِ، وَلَا يُنْكَرُ عَاقِلٌ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ ارْتِبَاطٍ

وَوَصَّلِ، فَالْأَصْلُ ثَبَاتٌ وَقَرَارٌ، وَالْفَرْعُ امْتِدَادٌ وَثِمَارٌ، وَقَدْ أَشَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ وَهُمَا الزَّوْجَانِ وَالْأَوْلَادُ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا لِلْآخِرِ نِعْمَةً، مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُشْكَرَ وَلَا تُكْفَرَ، وَتُحْمَدَ وَلَا تُجْحَدَ، وَتُذْكَرَ وَلَا تُنْكَرَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (١)، وَحَقُّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْأَوْلَادِ يَأْتِي فِي سُلْمِ الْحُقُوقِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مُبَاشَرَةً، وَهُوَ حَقُّ قَضَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ وَحَكَمَ فِيهِ، فَلَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ مَجَالٌ لِلتَّهَاؤُنِ بِهِ وَالتَّقْصِيرِ فِيهِ، وَاسْتَمَعُوا إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٢)، وَتَأَمَّلُوا مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلْفٌ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٣).

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ وَطَاعَتَهُمَا فِي الْمَعْرُوفِ أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ وَمَعْرُوفٌ، وَهُوَ طَرِيقُ مُعَبَّدٍ، وَسَبِيلُ مُمَهَّدٍ، إِذَا سَلَكَهُ الْمُؤْمِنُ وَصَلَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ هَذَا الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ))، وَالتَّعْبِيرُ النَّبَوِيُّ الْكَرِيمُ لَا يَعْنِي تَرْكَ الْخِيَارِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَبِرَّ وَالِدَيْهِ أَوْ لَا يَبِرَّهُمَا، بَلْ هُوَ حَثٌّ عَلَى بِرِّ الْوَالِدَيْنِ بِأَسْلُوبٍ فِيهِ رَدْعٌ وَزَجْرٌ عَنْ عَدَمِ بَرِّهِمَا، إِذْ لَا يُضَيِّعُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ فَقَدَ عَقْلَهُ وَسَفِهَ نَفْسَهُ، وَعِلَاوَةً عَلَى مَا لَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ مِنْ ثَمَرَاتٍ أُخْرَوِيَّةٍ يَانِعَةٍ؛ فَإِنَّ لَهُ ثَمَرَاتٍ دُنْيَوِيَّةً نَافِعَةً، وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ الْبَسْطَةُ فِي الرِّزْقِ وَالْبَرَكَاتُ فِي الْعُمْرِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ؛ فَلْيَبِرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))،

(١) سورة النحل / ٧٢ .

(٢) سورة النساء / ٣٦ .

(٣) سورة الإسراء / ٢٣-٢٤ .

وَيَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: ((لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ الْعُمْرَ إِلَّا الْبِرَّ))، وَاعْلَمُوا - عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ مِنْ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْأَوْلَادِ الْاعْتِرَازَ بِهِمَا، وَعَدَمَ التَّنَكُّرِ لَهُمَا، فَلَا يَتَنَكَّرُ لَهُمَا وَيَرْغَبُ عَنْهُمَا إِلَّا أَمْرٌ اخْتَلَّتْ لَدَيْهِ الْمَوَازِينُ، وَضَاعَتْ مِنْهُ الْقِيَمُ، إِنَّ النِّعَمَ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا الْوَالِدَانِ عَلَى الْأَوْلَادِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ، لَا يُنْكِرُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ لِلْفَضْلِ نِكَارًا، وَبِالنِّعْمَةِ جَاحِدًا كَفَّارًا، فَقَدْ قَدَّمَ الْوَالِدَانِ لِلأَوْلَادِ الْعَطْفَ وَالْحَنَانَ، وَالرِّعَايَةَ وَالْإِحْسَانَ، وَجَزَاءَ الْإِحْسَانِ إِحْسَانٌ، لَا جُحُودٌ وَتَكْرَانٌ، إِنَّ الْآبَاءَ يَبْذُلُونَ مِنَ الْجُهْدِ أَضْنَاهُ وَأَشَقَّهُ، وَيَحَاوِلُونَ التَّغْلِبَ عَلَى كُلِّ مَشَقَّةٍ، لِيَصِلَ أَوْلَادُهُمْ إِلَى مَا يَأْمُلُونَهُ لَهُمْ مِنْ سُمُوٍّ مَنزِلَةٍ وَرَفْعَةٍ مَكَانَةٍ، وَيَحُولُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ التَّعَرُّضِ لِأَذَى أَوْ مَوْقِفِ ذُلٍّ وَمَهَانَةٍ، فَلَيْسَ إِذَنْ مِنَ الْبِرِّ وَالْوَفَاءِ أَنْ يُقَابِلُوا بِالْإِعْرَاضِ وَالْجَفَاءِ، فَمَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ، إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَنَا مَعَ النَّاسِ عَلَى الْعُمُومِ؛ فَكَيْفَ بِمَنْ حَقُّهُمْ مِنْهُجٌ مَرْسُومٌ، وَأَمْرٌ وَاضِحٌ مَعْلُومٌ؟

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّهُ لَا يَجْهَلُ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ جَعَلَ لِلْأُمِّ مِنَ الْبِرِّ النَّصِيبَ الْأَوْفَرَ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْصَى اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ خَصَّ الْأُمَّ بِالذِّكْرِ، لِيُعْطِيَهَا مَزِيدًا مِنَ الْعِنَايَةِ، وَفَيْضًا مِنَ الرِّعَايَةِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾^(١)، ثُمَّ خَصَّ الْأُمَّ بِالذِّكْرِ فَقَالَ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ، فِي عَامَيْنِ﴾^(٢)، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾^(٣)، ثُمَّ ذَكَرَ الْأُمَّ فَقَالَ: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، كَرِهًا وَوَضَعَتْهُ كَرِهًا﴾^(٤)، وَعِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْأُمِّ لَا يَنْقُصُ مِنْ شَأْنِ الْآبِ وَأَمْرِهِ، وَلَا يُقَلِّلُ مِنْ حَقِّهِ وَقَدْرِهِ، فَحَقُّ الْآبِ مُؤَكَّدٌ، وَقَدْرُهُ عَالٍ مُبَجَّلٌ، وَإِنَّمَا خُصَّتْ بِالذِّكْرِ هُنَا؛ لِأَنَّ

(١) سورة لقمان / ١٤ .

(٢) سورة لقمان / ١٤ .

(٣) سورة الأحقاف / ١٥ .

(٤) سورة الأحقاف / ١٥ .

الأمَّ فِيهَا مَزِيدٌ مِنَ الشَّفَقَةِ، وَالْعَاطِفَةِ وَالرَّقَّةِ، فَرُبَّمَا تَجَرَّأَ بَعْضُ الْأَوْلَادِ عَلَيْهَا بِسَبَبِ عَاطِفَتِهَا وَشَفَقَتِهَا، ثُمَّ إِنَّ الْأُمَّ تَحَمَّلَتْ الْجُهْدَ الْكَبِيرَ، وَعَانَتْ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ، مِمَّا لَا يُنْكِرُهُ إِلَّا جَحُودٌ، وَعَاقٌ كَنُودٌ، وَالتَّارِيخُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا يَشْهَدُ بِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَّهَاتِ بَدَلْنَ فِي تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِنَّ وَتَعْلِيمِهِمْ جُهْدًا مَشْكُورَةً، وَتَضَحِياتٍ غَيْرَ مَنكُورَةٍ، فَكَمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ النَّابِغِينَ، وَالْمُفَكِّرِينَ النَّابِغِينَ، مِمَّنْ كَانَتْ لَهُمْ أَدْوَارٌ بَارِزَةٌ فِي الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَقَدَّمَ الْبَشَرِيَّةِ كَانُوا قَدْ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ وَهُمْ صِغَارٌ، فَاحْتَضَنَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَقَمْنَ بِالْعِنَايَةِ بِهِمْ، وَالْاهْتِمَامِ بِشُؤْنِهِمْ، حَتَّى بَرَزُوا فِي مُخْتَلَفِ الْمَجَالَاتِ وَالْعُلُومِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

عِنْدَمَا يَطُولُ الْعُمُرُ بِالْآبَاءِ، وَتَشْتَدُّ سَوَاعِدُ الْأَبْنَاءِ؛ فَمِنَ الْبِرِّ وَالْوَفَاءِ إِعَانَتُهُمْ فِي تَحْمُلِ مَسْئُولِيَّةِ الْأُسْرَةِ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَاتِ بِالذَّاتِ يَتَجَلَّى مَظْهَرُ الْوَفَاءِ وَرَدِّ الْجَمِيلِ، وَيَظْهَرُ مَعْدِنُ الْبِرِّ الْأَصِيلِ، وَإِعَانَةُ الْوَالِدَيْنِ تَكُونُ مَادِيَّةً إِنْ كَانَ لِلْوَالِدِ مَالٌ، وَمَعْنَوِيَّةً بِتَخْفِيفِ مَا عَلَى الْوَالِدَيْنِ مِنْ أَعْبَاءٍ وَأَنْقَالٍ. وَحِرْصًا مِنَ الْإِسْلَامِ عَلَى أَنْ تَبْقَى سَاحَةُ الْوَالِدَيْنِ بَعِيدَةً كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ أَنْ يُلَوِّثَهَا أَحَدٌ بِسَبِّ وَشْتَمِّ؛ حَتَّى الرَّسُولُ ﷺ الْأَبْنَاءَ عَلَى أَنْ يَنَاقُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ سَبِّ آبَاءِ الْآخَرِينَ وَشْتَمِّهِمْ؛ حَتَّى لَا يُؤْذُوا بِسَبِّ وَالِدِيهِمْ، يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - : ((مِنَ الْكِبَائِرِ شْتَمُ الرَّجُلِ وَالِدِيهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ يَشْتَمُ الرَّجُلُ وَالِدِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ))، وَمِنْ مَظَاهِرِ الْعُقُوقِ وَجَحْدِ الْحُقُوقِ - عِبَادَ اللَّهِ - مَا يَحْدُثُ مِنْ بَعْضِ الْأَوْلَادِ مِنْ مَظَاهِرِ الْإِهْمَالِ حِينَ يُصِيبُ الْمَرَضُ أُمَّهُ أَوْ أَبَاهُ؛ فَلَا يَهْتَمُّ بِهِمَا، وَلَا يَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِمَا، وَإِنْ بَقِيَ فِي أَحَدِ الْمُسْتَشْفِيَّاتِ لَا يَسْأَلُ عَنْهُمَا، فَهَيْهَاتَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَفَاءَ هَيْهَاتَ، إِنَّهُ الْجُحُودُ وَكُفْرَانُ النِّعْمَةِ فِي أَسْوَأِ صُورَةٍ وَأَبْشَعِهَا، وَأَفْبَحِهَا وَأَفْظَعِهَا، وَإِذَا ابْتَعَدَ الْأَبْنَاءُ عَنِ الْوَالِدَيْنِ لظَرْفِ الْعَمَلِ وَغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنِ الْإِرَادَةِ؛ فَيَجِبُ أَنْ تَبْقَى الصَّلَاةُ بِهِمَا قَائِمَةً، مُسْتَمِرَّةً دَائِمَةً، فَلَا بُدَّ حِينَ

يَكُونُ بِوَالِدَيْهِ بَارًّا وَفِيًّا، يُدَاوِمُ الْإِتِّصَالَ بِهِمَا وَلَوْ هَاتِفِيًّا، فَمَا لَا يُدْرِكُ كُلُّهُ لَا يُتْرَكُ جُلُّهُ، غَيْرَ أَنَّ عَلَيْهِ أَلَّا يَتَّخِذَ ذَلِكَ نَهْجًا وَعَادَةً؛ فَإِنَّ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الزِّيَارَةَ الشَّخْصِيَّةَ تَجَلِّبُ لِلْوَالِدَيْنِ السُّرُورَ وَالسَّعَادَةَ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ - فِي آبَائِكُمْ، وَعَلِّمُوا أَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ طَاعَةٌ لِلَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، وَهِيَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، أَمَّا عُقُوبُهُمَا فَكَبِيرَةٌ وَذَنْبٌ عَظِيمٌ، خَطَرُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى الْعَاقِّ جَسِيمٌ، فَكُونُوا مِنَ الْبَارِّينَ لَوَالِدَيْهِمْ، الْحَافِظِينَ لِحُقُوقِهِمْ، يَكُنْ ذَلِكَ ذُخْرًا لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، كَتَبَ الْفَوْزَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَعَبَدَهُ وَوَحَّدَهُ، وَأَتَى عَلَيْهِ وَعَظَّمَهُ وَمَجَّدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَعَلَ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا بَنِينَ وَحَفَدَةً، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الْقَائِلُ: ((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))، وَعَلَى اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِذَا كَانَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ كَمَا عَرَفْتُمْ حَقًّا ثَابِتًا لَهُمْ، لَا يَجُوزُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِغْفَالُهُ، وَلَا يَحِلُّ إِهْمَالُهُ، فَإِنَّ آدَاءَ حَقِّ الْأَبْنَاءِ مِنَ الْآبَاءِ هُوَ طَاعَةُ إِلَهِيَّةٌ، وَوَصِيَّةٌ رَبَّانِيَّةٌ، تَضَمَّنَتْهَا وَاحْتَضَنْتَهَا آيَاتُ قُرْآنِيَّةٌ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (١)، فَالْأَبْنَاءُ أَمَانَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ يَدَيْ الْآبَاءِ يَجِبُ صِيَانَتُهَا، وَيَلْزَمُ حِفْظُهَا وَرِعَايَتُهَا، فَإِنْ أَحْسَنُوا إِلَيْهِمْ كَانَتْ لَهُمْ الْمَثُوبَةُ، وَإِنْ أَسَاءُوا إِلَيْهِمْ اسْتَوْجِبُوا الْعُقُوبَةَ،



يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ : ((إِنَّ اللَّهَ سَائِلُ كُلِّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ))، وَمِنْ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَبْنَاءِ تَحْصِينُهُمْ مِنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِمْ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ، وَتَعْوِيدُهُمْ كُلَّ فَضِيلَةٍ، وَمَنْ تَرَبَّى عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ عَرَفَهَا وَعَشَقَهَا وَأَلْفَهَا، وَهَذِهِ أَثْمَنُ هَدِيَّةٍ، وَأَنْفَسُ عَطِيَّةٍ، يُهْدِيهَا وَيُعْطِيهَا الْآبَاءُ الْأَبْنَاءَ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ : ((مَا نَحَلَّ وَالِدٌ وَلَدًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ))، وَالنَّحْلَةُ هِيَ الْعَطِيَّةُ، فَبِالْأَدَبِ الْحَسَنِ يَسْعُدُ الْأَوْلَادُ، وَتَنْتَظِمُ أُمُورَهُمْ، وَيَسْلَمُ تَفْكِيرُهُمْ، فَنَرَاهُمْ عَلَى الْخَيْرِ يَحْرِصُونَ، وَعَنِ الشَّرِّ يَبْتَعِدُونَ. إِنَّ مِنْ حَقِّ الْأَبْنَاءِ عَلَى الْآبَاءِ أَنْ يَقْتَطِعُوا جُزْءًا مِنْ وَقْتِهِمْ لِلْجُلُوسِ مَعَ أَبْنَائِهِمْ لِلنُّصْحِ وَالتَّوْجِيهِ، وَالْإِرْشَادِ وَالتَّنْبِيهِ، إِنَّ مُجَرَّدَ جُلُوسِ الْوَالِدِ وَسَطِّ أَوْلَادِهِ - وَلَوْ لَمْ يَتَكَلَّمْ - مِنْهَجٌ تَرْبَوِيٌّ، فِيهِ مِنْ عُمُقِ التَّرْبِيَةِ مَا فِيهِ، فَكَيْفَ لَوْ تَكَلَّمَ وَوَجَّهَهُ، وَنَصَحَ وَنَبَّهَهُ؟ وَلَا تَنْسُوا - أَيُّهَا الْآبَاءُ - أَنْ مِنْ حَقِّ أَبْنَائِكُمْ عَلَيْكُمْ اخْتِيَارَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَةِ لَهُمْ، فَإِنَّ لِلْأَسْمَاءِ الْحَسَنَةِ تَأْثِيرَهَا الْحَسَنَ عَلَى نَفْسِيَّةِ الْإِنْسَانِ، كَمَا أَنَّ لِلْأَسْمَاءِ السَّيِّئَةِ تَأْثِيرَهَا السَّيِّئَ عَلَيْهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ : ((إِنَّكُمْ تُدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ؛ فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَسْتَغْلُوا الْأَمْرَ بِطَاعَتِهِمْ لَكُمْ وَبِرِّهِمْ إِيَّاكُمْ اسْتَغْلَالًا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِحَيَاتِهِمْ الْأُسْرِيَّةِ، فَلَا تُكَلِّفُوهُمْ بِمَا هُوَ عَسِيرٌ عَلَيْهِمْ وَشَاقٌّ، وَفِعْلٌ مَا لَا يُسْتَطَاعُ وَلَا يُطَاقُ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،

كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
وَارِضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدَعُ
فِيْنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعَنَى.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا
صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا
طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ
خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.